مجلة آفاق علمية ISSN: 1112-9336
المجلد: 12 العدد: 03 السنة 2020 ص 156 - 172

تاريخ الإرسال: 2019/12/14 تاريخ القبول: 2020/03/07
تاريخ النشر: 2020/07/02

الفرق بين الإسلام والإيمان
The difference between Islam and faith

سليم فؤاد مجوبي
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة (المملكة العربية السعودية)، salimed5@hotmail.fr

الملخص:

هذا المقال يتناول تعريف مصطلحي الإسلام والإيمان في اللغة والشرع، وأقوال أهل العلم في الفرق بينهما، وأنها ثلاثة أقوال: القول الأول: إن لهما نفس المعنى؛ القول الثاني: إن لكل منهما معنى يختلف عن الآخر؛ الثالث: إن معناهما يختلف بحسب الاقتران والافتراق؛ فإن ذكر كل مصطلح على حدة، دخل الآخر في معناه، وإن ذكرا مجتمعين اختص كل واحد بمعنى يخصه.

وقد عرض الباحث أدلة كل فريق من الكتاب والسنة، وتوجيه أهل العلم لها، وخلص إلى ترجيح القول الثالث، كما تطرق إلى بعض المسائل المتعلقة به.يكون نوع خط

الكلمات المفتاحية: الإسلام؛ الإيمان؛ مصطلحات عقدية.

Abstract:

This study is interested in the conventional definition, lingustic and religious, of the two terms: Islam and faith.

She presents the opinions of the scientists concerning their difference, which differ in three: 1 / they have the same meanings. 2 / they have different meanings. 3 / quoted sets: their different meaning, quoted separately: their meaning is reassembled.

The researcher presents the arguments of each opinion, then concludes his study with the third opinion that is the most important.

Keywords: islam - faith - terms.

المؤلف المرسل: سليم فؤاد مجوبي، الإيميل: SALIMED5@HOTMAIL.FR

1.مقدمة:

الحمد لله ربِّ العالمين والعاقبة للمتَّقين ولا عدوان إلا على الظالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله؛

أما بعد: فهذا بحث مختصر في بيان مسمَّى الإسلام والإيمان والفرق بينهما

إشكالية البحث:

توارد مصطلحا الإيمان والإسلام في النصوص الشرعية تارة معنى واحد، وتارة على معان متباينة أو متداخلة، ونتيجة لذلك اختلف أهل العلم في القرق بينهما، وسأحاول في هذا البحث توضيح ذلك.

أهمية البحث

- التعريف بالمصطلحات الشرعية ومعرفة معانيها.
- تحقيق القول فيما اختلف فيه العلماء من بيان معنى الإسلام والإيمان.
- هذه المسألة من مسائل الأسماء والأحكام، وهي باب مهمٌّ من أبواب العلم يتعلَّق به تنزيل النصوص الشرعية على المعَّينين.

منهجي في البحث

- أجمع المادة العلمية من مصادرها، وأعزو كل قول إلى مصدره.
- أعزو الآيات القرآنية إلى مواضعها من القرآن الكريم.
- أخرِّج الأحاديث تخريجا مختصرا، مع بيان درجتها.

– أضع فهرسا للمراجع.

2. تعريف الإسلام

الإسلام، لغة: الاستسلام والانقياد[1]، وأسلمَ الرجل: انقاد[2]؛ والإسلام في الشرع هو الاستسلام لله تعالى والانقيادُ له، وله إطلاقات:

–منها: أن يراد به الدِّين الذي بعث الله به الرُّسل، ومنه قوله تعالى: {إن الدين عند الله الإسلام} آل عمران: ١٩، قال ابن كثير: "وقوله تعالى: {إن الدين عند الله الإسلام} إخبارٌ منه تعالى بأنَّه لا دينَ عنده يقبَله من أحد سوى الإسلام، وهو اتِّباع الرُّسل فيما بعثهم الله به في كلِّ حين، حتى خُتموا بمحمد –صلى الله عليه وسلم–"[3].

–ومنها: أن يراد به خصوص الدِّين الذي جاء به محمد –صلى الله عليه وسلم–، قال تعالى: **{اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا}** المائدة: ٣

قال ابن كثير: "هذه أكبر نعم الله تعالى على هذه الأمَّة، حيث أكمل تعالى لهم دينَهم فلا يحتاجون إلى دينٍ غيرِه، ولا إلى نبيٍّ غيرِ نبيِّهم صلوات الله وسلامه عليه"[4].

–ومنها: أن يراد به الأعمالُ الظَّاهرة المتضمِّنةُ لأصل التَّصديق والإقرار، قال ابن باديس: "ويجيء الإسلامُ في لسان الشَّرع أيضا بمعنى الأعمال الظَّاهرة الدالَّةِ – بحسب الظاهر – على الانقياد والإذعان، المبنيَّةِ على التَّصديق التَّام، لما جاء في حديث سؤال جبريل عليه السلام"[5].

–ومنها: أن يراد به الأعمالُ الظَّاهرة من غير تصديقٍ ولا إقرار. قال ابن باديس: "ويجيء الإسلام بمعنى الاستسلام في الظَّاهر دون إيمانٍ في القلب، وهذا لا ينفع صاحبَه"[6].

واستدَلَّ على ذلك بقوله تعالى: {قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم} الحجرات: ١٤، وهذا على القول بأنَّ المرادَ من الأعراب في هذه الآية قومٌ من المنافقين، وهو أحدُ الأقوال في تفسيرها[7]، والقولُ الصحيح إنَّهم من المسلمين، كما سيأتي بيانُه؛ ويمكن الاستدلال على ذلك أيضا بقوله تعالى: **{فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين}** الذاريات: ٣٥ – ٣٦، فيما يخص زوجة لوط عليه السلام، فإنها داخلة في أهلِ البيت من المسلمين، على أصحِّ القولين في تفسير هذه الآية[8]، وبقوله – صلى الله عليه وسلم–: "من صلَّى صلاتَنا، واستقبل قبلتَنا، وأكل ذبيحتَنا؛ فذلك المسلم الذي له ذمَّة الله وذمة رسوله، فلا تخفروا الله في ذمته"[9].

3. تعريف الإيمان.

ذكر بعض أصحاب المعاجم أنَّ اللغويِّين اتَّفقوا على أن معنى الإيمان لغةً هو التصديق[10]، لكنهم ذكروا في تعريفاته معاني أخرى زائدةً على مجرَّد التَّصديق؛ منها: الإذعان والاعتراف والثقة وصدق الأمانة وإظهار الخضوع والقبول.[11]

قال ابن تيمية: "وتفسيره بلفظ الإقرار أقربُ من تفسيره بلفظ التصديق"[12]، وقال أيضا: "وأما الإيمان فأصلُه تصديقٌ وإقرارٌ ومعرفة[13]؛ وأمَّا في الشَّرع فقد أجمع أهل السُّنة والجماعة على أنَّ الإيمان قولٌ باللِّسان واعتقادٌ بالجنان وعملٌ بالأركان.

قال ابن عبد البر: "أجمع أهلُ الفقه والحديث على أنَّ الإيمان قولٌ وعملٌ، ولا عملَ إلا بنية... إلا ما ذُكر عن أبي حنيفة وأصحابه..."[14]؛ وقال: "وأمَّا سائرُ الفقهاء من أهل الرأي والآثار بالحجاز والعراق والشَّام ومصر، منهم: مالك بن أنس والليث بن سعد وسفيان الثوري والأوزاعي والشافعي وأحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه وأبو عبيد القاسم بن سلام وداود بن علي وأبو جعفر الطبري ومن سلك

سبيلهم، فقالوا: الإيمان قولٌ وعمل، قولٌ باللِّسان وهو الإقرار، واعتقادٌ بالقلب، وعملٌ بالجوارح، مع الإخلاص بالنيَّة الصَّادقة [15].

4. الفرق بين الإسلام والإيمان.

اختلف من حكى كلامَ أهلِ العلم في الفرق بين الإسلام والإيمان – وهل هما بمعنى واحد أو هما معنيان – في عددِ الأقوال في هذه المسألة، فمنهم من ذكر قولين ومنهم من ذكر ثلاثةَ أقوال، ومن ذلك صنيعُ ابن منده في كتابه «الإيمان» حيث ذكر القولَ بأنهما معنيان والأدلةَ على ذلك[16]، والقولَ بأنهما اسمان لمعنى واحد والأدلةَ على ذلك[17]، وذكر ابن عبد البر القولين وزاد عليهما قولا ثالثا؛ وهو أنَّ الإيمان دارةٌ داخل دارة الإسلام[18]؛ وأما القول الثالث عند الخطابي فهو القولُ بأن بينهما عمومًا وخصوصا[19]، وذكر ابن أبي العز ثلاثة أقوال على نحو آخر، فقال: "وقد صار الناس في مسمَّى الإسلام على ثلاثة أقوال : فطائفةٌ جعلت الإسلام هو الكلمة، وطائفة أجابوا بما أجاب به النبي –صلى الله عليه وسلم– حين سئل عن الإسلام والإيمان، حيث فسَّر الإسلام بالأعمال الظَّاهرة والإيمانَ بالإيمان بالأصول الخمسة، وطائفةٌ جعلوا الإسلام مرادفًا للإيمان..."[20]؛ وذكر بعض الباحثين المعاصرين أربعةَ أقوال[21] وذكر آخر خمسةَ أقوال.[22] وهذه الأقوال في نظري ترجع إلى ثلاثة، قال بكلِّ واحدٍ منها طائفةٌ من أهل السنة، سأذكرها في المطالب الآتية:

1.4 القول بأن الإسلام والإيمان شيء واحد:

ونسبه محمد بن نصر المروزي إلى الجمهور الأعظم من أهل السنة والجماعة[23]، وقال ابن عبد البر: "وعلى القول بأن الإيمان هو الإسلام جمهورُ أصحابنا وغيرُهم من الشافعيين والمالكيِّين، وهو قول داود وأصحابه وأكثر أهل السنة والنظر المتَّبعين للسلف والأثر"[24]؛ واختاره ابن منده[25]، وهو مذهب البخاري كذلك[26]، وتعقَّب ابنُ رجب المروزيَّ وابنَ عبد البر بقوله: "فحكاية ابن نصر وابن عبد البر

عن الأكثرين التسويةَ بينهما غيرُ جيِّد؛ بل قد قيل: إن السلف لم يُرو عنهم غيرُ التَّفريق، والله أعلم"[27] .

واستدلَّ أصحاب هذا القول بأدلة، منها:

1- الآيات التي فيها مدحُ الإسلام، مثل قوله تعالى: **{ورضيت لكم الإسلام دينا}** المائدة: ٣، وقوله: **{فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام}** الأنعام: ١٢٥، وقوله: **{أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه}** الزمر: ٢٢. قالوا: فمدحَ الله الإسلام بمثل ما مدح به الإيمان، وجعلَه اسمَ ثناءٍ وتزكية، وأخبر أنَّ من أسلمَ فهو على نورٍ من ربِّه وهُدى، وأخبر أنَّه دِينه الذي ارتضاه.

2- ما ورد على لسان الأنبياء من الدُّعاء بالهداية إلى الإسلام والموتِ عليه، ومنه قوله تعالى عن نبيِّه إبراهيم وابنه إسماعيل: **{ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك}** البقرة: ١٢٨ ، وقوله تعالى: **{ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يا بني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون}** البقرة: ١٣٢، وقوله تعالى عن يوسف: **{توفني مسلما وألحقني بالصالحين}** يوسف: ١٠١. قالوا: ألا ترى أن أنبياء الله ورسله رغِبوا فيه إليه، وسألوه إياه.

3- قوله تعالى: **{فإن أسلموا فقد اهتدوا}** آل عمران: ٢٠، مع قوله: **{فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا}** البقرة: ١٣٧. قالوا: فحَكم الله عز وجل بأنَّ من أسلم فقد اهتدى، ومن آمن فقد اهتدى، فسوَّى بينهما.

4- قوله تعالى: **{وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين}** القصص: ٥٣ وقوله: **{إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون}** النمل:٨١ . قالوا: فدلَّ ذلك على أنَّ مَن آمن فهو مسلم، وأنَّ مَن استحقَّ أحد الاسمين استحقَّ الآخر إذا عمل بالطاعات التي آمن بها.[28]

5- وأشهر أدلَّتهم قوله تعالى: **{فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين}** الذاريات: ٣٥ – ٣٦، أي: غير بيت منهم[29]. وأصحابُ هذا القول يُطلقون لفظ الإسلام على معنيين: إسلامُ يقينٍ وطاعة، وهذا هو الذي يكون بمعنى الإيمان، وإسلامُ استسلام مخافةَ القتل والسَّبي، وعلى هذا المعنى الثاني حملوا قولَه تعالى: **{قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم}** الحجرات: ١٤.[30]

وأما من السُّنة: فاستدلوا بحديث وفد عبد القيس الذي قال لهم فيه النبي –صلى الله عليه وسلم–: "هل تدرون ما الإيمان بالله وحده"؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: "شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وأن تعطوا الخمس من المغنم ..." الحديث[31]

قالوا: فقد فسَّر الإيمان بما فسَّر به الإسلام في حديث جبريل، فدلَّ على أنَّ الإسلام والإيمان واحد. [32]

2.4 القول بأن الإسلام والإيمان متباينان:

قال ابن رجب: "واختلف من فرَّق بين الإسلام والإيمان في حقيقة الفرق بينهما"[33]. ومن الأقوال في ذلك:

1- الإسلام الكلمة والإيمان العمل. قال ابن رجب: "وهذا مروي عن الزهري وابن أبي ذئب ، وهو رواية عن أحمد، وهي المذهب عند القاضي أبي يعلى وغيره من أصحابه"[34] ، وهذه العبارة فيها تفصيل: فإن أراد بالكلمة الشهادتين وأن الرجل يدخل بها في الإسلام فيحقِن دمَه ومالَه ، ثم يترقَّى إلى مرتبة الإيمان بأداء الأعمال فهذا حق، وإن كان المراد أن هذا هو حقيقة مسمى الإسلام والإيمان فهذا مخالف للنصوص الواردة في بيان ذلك.

قال ابن عبد البر: "وهذا الذي قاله ابن شهاب إنَّ الإسلام الكلمة والإيمان العمل؛ خلافُ ما تقدَّم من الآثار المرفوعة في الإسلام وما بُني عليه، على ما مضى في هذا الباب، لأنَّ هذا يدلُّ على أنَّ الإسلام العمل والإيمان الكلمة[35]، إلا أنَّ في تلك الأحاديث كلِّها في الإسلام: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، فعلى هذا خرج كلام ابن شهاب والله أعلم، لا على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان والحج"[36]

وقال ابن تيمية: "ولما كان كلُّ من أتى بالشهادتين صار مسلما متميِّزا عن اليهود والنصارى، تجري عليه أحكام الإسلام التي تجري على المسلمين؛ كان هذا ممَّا يُجزم به بلا استثناء فيه، فلهذا قال الزهري: الإسلام الكلمة. وعلى ذلك وافقه أحمد وغيره، وحين وافقه لم يُرد أن الإسلام الواجب هو الكلمة وحدها، فإن الزهريَّ أجلُّ من أن يخفى عليه ذلك".[37]

2- الإسلام إقرار والإيمان تصديق. ونسب ابن رجب هذه العبارة إلى ابن زيد من المفسرين وإلى أبي خيثمة وغيره من المحدثين[38].

3- يفسَّر الإسلام والإيمان بما ورد في حديث جبريل ولا يزاد على ذلك، وبعضهم يقول: الإسلام هو الأعمال الظاهرة والإيمان هو الأعمال الباطنة. وقد ذكر هذا القول ابن أبي العز ولم ينسبه إلى أحد[39]؛ ويشبه هذا القول ما ذكره ابن رجب بقوله: "وقالت طائفة: الفرق بين الإسلام والإيمان: أن الإيمان هو التصديق – تصديق القلب – فهو علم القلب وعمله، والإسلام : الخضوع والاستسلام والانقياد؛ فهو عمل القلب والجوارح. وهذا قول كثير من العلماء، وقد حكاه أبو الفضيل التميمي عن أصحاب أحمد، وهو قول طوائف من المتكلمين"[40]

ودليل القائلين بالتفريق بين الإسلام والإيمان قوله تعالى: **{قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم}** . قال ابن رجب:

"وأما من يفرِّق بين الإسلام والإيمان فإنه يستدلُّ بهذه الآية على الفرق بينهما ويقول: نفيُ الإيمان عنهم لا يلزم منه نفي الإسلام، كما نُفيَ الإيمان عن الزاني والسارق والشارب، وإن كان الإسلام عنهم غير منفيّ. وقد ورد هذا المعنى في الآية عن ابن عباس، وقتادة، والنخعي، وروي عن ابن زيد معناه – أيضا –، وهو قول الزهري، وحماد بن زيد، وأحمد، ورجحه ابن جرير وغيره واستدلوا به على التفريق بين الإسلام والإيمان. وكذا قال قتادة في هذه الآية قال: «قولوا أسلمنا»: شهادة أن لا إله إلا الله، وهو دين الله، والإسلام درجة، والإيمان تحقيق في القلب، والهجرة في الإيمان درجة، والجهاد في الهجرة درجة، والقتل في سبيل الله درجة . خرَّجه ابن أبي حاتم[41].

فجعل قتادة الإسلام الكلمة، وهي أصل الدِّين، والإيمان ما قام بالقلوب من تحقيق التصديق بالغيب، فهؤلاء القوم لم يحقِّقوا الإيمان في قلوبهم، وإنَّما دخل في قلوبهم تصديقٌ ضعيف، بحيث صحَّ به إسلامهم"[42]؛ ومن السنة حديث جبريل الطويل[43]، وفيه: "الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا" وقال عن الإيمان: "أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره".

وحديث سعد بن أبي وقاص: "أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– أعطى رهطا وسعدٌ جالس، فترك رسول الله –صلى الله عليه وسلم– رجلا هو أعجبُهم إليّ، فقلت: يا رسول الله ما لك عن فلان؟ فوالله إني لأراه مؤمنا، فقال: «أو مسلما». فسكتُّ قليلا، ثم غلبني ما أعلم منه، فعدتُ لمقالتي، فقلت: مالك عن فلان ؟ فوالله إني لأراه مؤمنا، فقال: «أو مسلما» ثم غلبني ما أعلم منه، فعدتُ لمقالتي، وعاد

رسول الله –صلى الله عليه وسلم– ، ثم قال: «يا سعد ! إنِّي لأعطي الرجلَ وغيرُه أحبُّ إليَّ منه؛ خشية أن يكُبَّه الله في النار»"[44].

3.4 القول بأنهما يجتمعان ويفترقان:

أي إذا ذُكر أحدُهما دخل فيه الآخر وكان بمعناه، وإذا ذكرا جميعا اختصَّ كلٌّ واحد منهما بمعنى مستقل. قال ابن رجب: "فهكذا اسمُ الإسلامِ والإيمانِ: إذا أُفرد أحدُهما؛ دخل فيه الآخر، ودلّ بانفرادِه على ما يدلُّ عليه الآخرُ بانفراده، فإذا قُرِنَ بينهما دلَّ أحدُهما على بعض ما يدلُّ عليه بانفرادِه، ودلَّ الآخر على الباقي، وقد صرَّح بهذا المعنى جماعةٌ من الأئمّة. قال أبو بكر الإسماعيليُّ في رسالته إلى أهل الجبل: قال كثيرٌ من أهلِ السُّنَّةِ والجماعة: إنّ الإيمانَ قولٌ وعمل، والإسلام فعلُ ما فُرض على الإنسان أن يفعله، إذا ذُكر كلُّ اسمٍ على حِدَته مضموماً إلى الآخر، فقيل: المؤمنونَ والمسلمونَ جميعاً مُفرَدين[45]؛ أُريدَ بأحدهما معنى لم يُرَدْ بالآخر، وإذا ذُكِرَ أحدُ الاسمين ، شَمِلَ الكُلَّ وعمَّهم .

وقد ذكر هذا المعنى أيضاً الخطابيُّ في كتابه «معالم السنن» ، وتَبِعَهُ عليه جماعةٌ من العُلَماء من بعده"[46]؛ ثم قال: "وبهذا التفصيل الذي ذكرناه يزول الاختلاف، فيقال: إذا أُفرد كلٌّ من الإسلام والإيمان بالذِّكر؛ فلا فرق بينهما حينئذ، وإن قُرن بين الاسمين؛ كان بينهما فرق، والتحقيق في الفرق بينهما: أنَّ الإيمان هو تصديق القلب وإقراره ومعرفته والإسلام هو استسلام العبد لله وخضوعه وانقياده له، وذلك يكون بالعمل، وهو الدِّين، كما سمَّى الله في كتابه الإسلام دينا، وفي حديث جبريل سمَّى النبي –صلى الله عليه وسلم– الإسلام والإيمان والإحسان ديناً، وهذا أيضا ممَّا يدلُّ على أنَّ أحد الاسمين إذا أُفرد دخل فيه الآخر، وإنما يفرَّق بينهما حيث قُرن أحد الاسمين بالآخر، فيكون حينئذ المرادُ بالإيمان جنسَ تصديق القلب، وبالإسلام جنسَ العمل"[47].

وقال ابن تيمية: "فإذا قُرن اسم الإيمان بالإسلام أو العمل؛ كان دالًّا على الباطن فقط، وإن أُفرد اسم الإيمان فقد يتناول الباطن والظاهر، وبهذا تأتلف النصوص. فقوله: "الإيمان بضع وسبعون شعبة: أعلاها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان" أفرد لفظَ الإيمان فدخل فيه الباطنُ والظاهر، وقوله في حديث جبريل: "الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر" ذكره مع قوله: "الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وتقيم الصلاة وتؤتيَ الزكاة، وتصوم رمضان، وتحجَّ البيت"، فلمَّا قرنه باسم الإسلام؛ ذكر ما يخصُّه، فالاسم في ذلك الحديث مجرَّدٌ عن الاقتران، وفي هذا الحديث مقرون باسم الإسلام.

وقوله تعالى: **{ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه}** آل عمران: ٨٥ دخل فيه الباطن، فلو أتى بالعمل الظاهر دون الباطن لم يكن ممَّن أتى بالدِّين الذي هو عند الله الإسلام؛ وأمَّا إذا قُرن الإسلام بالإيمان كما في قوله تعالى: **{قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولمن قولوا أسلمنا}** الحجرات: ١٤ ، وقوله تعالى: **{فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين}** الذاريات: ٣٥ – ٣٦، وقوله تعالى: **{إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات}** الأحزاب: ٣٥ ، فقد يراد بالإسلام الأعمال الظاهرة"**48**.

3.4 الترجيح

والذي يظهر بعد التأمُّل ترجيحُ القول الثالث، وأنَّ اسم الإسلام والإيمان إذا اجتمعا في الذِّكر افترقا في المعنى، وإذا افترقا في الذِّكر اجتمعا في المعنى، وهذا القول يجمع بين النصوص التي استدل بها أصحاب القولين السابقين ويؤلِّف بينها، ويدفع توهُّم التعارض بينها، وكثيرٌ من الألفاظ الشرعية جاريةٌ هذا المجرى في الاقتران والانفراد.

* أما أدلة أصحاب القول الأول:

– فالآيات التي ذكروا بأن فيها مدح الإسلام أو دعاء الأنبياء بالهداية إليه وَرَد فيها لفظ الإسلام مفردا؛ فيكون شاملا لمعنى الإيمان، وكذلك قوله تعالى: **{فإن أسلموا فقد اهتدوا}** آل عمران: ٢٠، مع قوله: **{فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا}** البقرة: ١٣٧. فالإسلام في الآية الأولى يدخل فيه الإيمان، والإيمان في الآية الثانية يدخل فيه الإسلام، وكذا حديث وفد عبد القيس ذكر فيه الإيمان مفردا فيكون بمعنى الإسلام؛ وقوله تعالى: **{وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به}**، قال ابن جرير: "يقول: يقولون: صدقنا به"[49]، وقوله: **{إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين}** قال ابن كثير: "أي موحدين مخلصين لله مستجيبين له"[50] . وقوله تعالى: {إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون} النمل: ٨١ ، قال ابن جرير: "يقول: ما تقدر أن تُفهِم الحقَّ وتوعيَه أحدا إلا سَمْعَ من يصدِّق بآياتنا، يعني بأدلته وحججه وآي تنزيله، {فهم مسلمون}: فإن أولئك يسمعون منك ما تقول ويتدبَّرونه، ويفكِّرون فيه، ويعملون به، فهم الذين يسمعون"[51]؛ فالإيمان في الآيتين هو أصل التصديق والإقرار الذي محله القلب، والإسلام فيهما بمعنى الاستسلام لله بالتوحيد والعمل.

– وقوله تعالى: **{فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين}** الذاريات: ٣٥ – ٣٦، الصحيح في تفسيره أن حال الوجود غير حال الإخراج؛ في حال الوجود ذكَر البيت من المسلمين ويدخل فيه امرأة لوط لأنها كانت في الظاهر مع زوجها على دينه، وفي حال الإخراج ذكَر المؤمنين الذين نجوا، ولم تكن امرأة لوط معهم، بل كانت من الهالكين، كما قال تعالى: **{إنا منجوك وأهلك إلا امرأتك كانت من الغابرين}** العنكبوت: ٣٣.[52]

– وقولهم في قوله تعالى: **{قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم}** الحجرات: ١٤ بأنَّ المراد بالأعراب قومٌ من

المنافقين وأنَّ معنى الإسلام الاستسلام مخافة القتل والسبي؛ تردُّه الآية نفسها، فإن حرف «لمَّا» يستعمل في نفي ما ينتظر وجوده، فدخول الإيمان في قلوبهم منتظر منهم، وكذلك قوله بعد ذلك: **{وإن تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من أعمالكم شيئا}** الحجرات: ١٤، (أي: لا ينقصكم)، فلو كانوا من المنافقين لما نفعهم عملهم بالطاعات، ولو كان المراد إثابتهم عليها بعد دخول الإيمان في قلوبهم لم يكن في الخطاب فائدة؛ إذ ذلك معلوم بالضرورة، فتعيَّن أن هؤلاء الأعراب لا هم منافقون، ولا هم من المؤمنين الإيمان الخاص الكامل، الموجب لدخول الجنة بلا عذاب، المذكورين في الآية التي بعدها[53]، بل معهم من الإيمان ما يمنع خلودهم في النار، ويُنتظر منهم تحقيق الإيمان الكامل.[54]

* وأما أدلة الفريق الثاني فهي تدل على الفرق بين الإسلام والإيمان إذا ذكرا مجتمعين، وأما إذا ذكر أحدهما دون الآخر فيكونان بمعنى واحد. وبهذا تجتمع الأدلة وتأتلف؛ قال ابن رجب: "وأما وجه الجمع بين هذه النصوص وبين حديث سؤال جبريل–عليه السلام– عن الإسلام والإيمان، وتفريق النبي –صلى الله عليه وسلم– بينهما، وإدخاله الأعمال في مسمى الإسلام دون الإيمان؛ فإنَّه يتَّضح بتقرير أصل: وهو أنَّ من الأسماء ما يكون شاملا لمسمَّيات متعدِّدة عند إفراده وإطلاقه، فإذا قُرن ذلك الاسم بغيره؛ صار دالًّا على بعض تلك المسمَّيات، والاسمُ المقرون به دالٌّ على باقيها، وهذا كاسم الفقير والمسكين فإذا أفرد أحدهما؛ دخل فيه كلُّ مَن هو محتاج، فإذا قُرن أحدُهما بالآخر؛ دلَّ أحد الاسمين على بعض أنواع ذوي الحاجات، والآخر على باقيها"[55]

وقال ابن أبي العز: "ونظائر ذلك في كلام الله ورسوله وفي كلام الناس كثيرة أعني في الإفراد والاقتران، منها: لفظ الكفر والنفاق، فالكفر إذا ذُكر مفردا في وعيد الآخرة؛ دخل فيه المنافقون، كقوله تعالى: {ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله وهو

في الآخرة من الخاسرين} المائدة: ٥، ونظائره كثيرة، وإذا قُرن بينهما؛ كان الكافر مَن أظهر كفره، والمنافق من آمن بلسانه ولم يؤمن بقلبه، وكذلك لفظ البرِّ والتقوى، ولفظ الإثم والعدوان، ولفظ التوبة والاستغفار، ولفظ الفقير والمسكين، وأمثال ذلك"[56]

4.خاتمة:

تبيَّن ممَّا سبق: *-أنَّ الإسلام أصلُه العمل الظاهر وأنَّ الإيمان أصله ما في القلب. *-أنَّ الإيمان الشرعي قول واعتقاد وعمل. *-أنَّ اسم الإسلام والإيمان يختلف إطلاقهما بحسب الاقتران والانفراد، فإن اجتمعا افترقا وإن افترقا اجتمعا.

- أنَّ الخلاف في مسمَّى الإيمان والإسلام - هل هما واحد أو يختلفان - اختلافٌ سائغ بحسب النظر في الأدلة، لا يبدَّع من أخذ بواحد من هذه الأقوال، حتى قال ابن عبد البر - بعدما حكى الأقوال -: "والمعنى في ذلك كلِّه متقارب"[57] وقال: "وهو كلُّه متقارب المعنى متَّفق الأصل، وربمَّا يختلفون في التسمية والألقاب، ولا يكفِّرون أحدا بذنب"[58]. وقال ابن حجر: "وقد حكى ذلك الإسماعيلي عن أهل السنة والجماعة، قالوا: إنهما تختلف دلالتهما بالاقتران، فإن أفرد أحدهما دخل الآخر فيه، وعلى ذلك يُحمل ما حكاه محمد بن نصر -وتبعه ابن عبد البر- عن الأكثر أنهم سوَّوا بينهما على ما في حديث عبد القيس، وما حكاه اللالكائي وابن السمعاني عن أهل السنة أنَّهم فرَّقوا بينهما على ما في حديث جبريل، والله الموفق". [59]

5.المراجع

(1) لسان العرب: (2080/3)
(2) تاج العروس، للزبيدي: (385/32)
(3) تفسير ابن كثير: (462/1)
(4) المصدر السابق: (19/2)
(5) العقائد الإسلامية: (ص36). وانظر مجموع الفتاوى: (361/7)
(6) العقائد الإسلامية: (ص37). وانظر الملل والنحل للشهرستاني: (39/1)

(7) انظر تفسير القرطبي: (421/19). وسيأتي بيان القول الصحيح في ذلك.

(8) انظر الإيمان الأوسط، لابن تيمية: (ص304)

([9]) صحيح البخاري: (رقم391)

([10]) انظر: لسان العرب: (141/1)، و تاج العروس: (186/34)

([11]) المصدر السابق.

([12]) مجموع الفتاوى: (291/7)

([13]) انظر المصدر السابق: (263/7)

([14]) التمهيد، لابن عبد البر، ضمن موسوعة شروح الموطأ: (51/22)

([15]) المصدر السابق: (22/56-57)

([16]) الإيمان، لابن منده: (311/1).

([17]) المصدر السابق: (321/1).

([18]) التمهيد، ضمن موسوعة شروح الموطأ: (22/61-66)

([19]) نقله عنه ابن حجر في الفتح: (115/1).

([20]) شرح الطحاوية: (ص347).

([21]) انظر مقدمة تحقيق الإيمان الأوسط لابن تيمية، لعلي بن بخيت الزهراني: (ص206) فقد ذكرها على النحو التالي: 1- الإسلام هو الإيمان. 2- الإسلام الكلمة والإيمان العمل. 3- الإسلام خصلة من خصال الإسلام. 4- إذا اجتمعا افترقا وإذا افترقا اجتمعا.

([22]) انظر الاعتقاد لابن أبي يعلى، ت: محمد بن عبد الرحمن الخميس: حاشية (ص24) فقد ذكر الأقسام التي ذكرها ابن أبي العز إلا أنه جعل القول الثاني قولين: 1- أن كلاً منهما يعرف بما عرفه به النبي -صلى الله عليه وسلم- في حديث جبريل. 2- أن الإسلام اسم لما ظهر من الأعمال، والإيمان اسم لما بطن من الاعتقاد. فتصير أربعة، والقسم الخامس: إذا اجتمعا افترقا وإذا افترقا اجتمعا.

([23]) تعظيم قدر الصلاة، للمروزي: (529/2)

([24]) التمهيد، ضمن موسوعة شروح الموطأ: (66/22)

([25]) الإيمان، لابن منده: (321/1).

([26]) فتح الباري، لابن رجب: (117/1).

([27]) المصدر السابق: (120/1)

([28]) الإيمان، لابن منده: (321/1). وتعظيم قدر الصلاة، للمروزي: (530/2)

([29]) التمهيد، ضمن موسوعة شروح الموطأ: (61/22)

([30]) تعظيم قدر الصلاة: (554/2) والإيمان: (322/1)، كلاهما لابن منده. والتمهيد، ضمن موسوعة شروح الموطأ: (22/61-62). والفصل في الملل والأهواء والنحل، لابن حزم: (126/3)

([31]) أخرجه البخاري: (ح 53)، ومسلم: (ح23).

([32]) انظر: فتح الباري، لابن رجب: (189/1).

([33]) فتح الباري، لابن رجب: (118/1)

([34]) المصدر السابق.

([35]) لعله يقصد ما ذكره قبل هذا عن معاذ بن جبل أنه كان يقول لأصحابه: "تعالوا بنا نؤمن ساعة"، قال ابن عبد البر: "أي: نذكر الله. فجعل ذكر الله من الإيمان". التمهيد، ضمن موسوعة شروح الموطأ: (60/22)

([36]) التمهيد، ضمن موسوعة شروح الموطأ: (65/22)

([37]) مجموع الفتاوى: (415/7)

([38]) فتح الباري، لابن رجب: (118/1)

([39]) شرح الطحاوية: (ص347)، وانظر حاشية (ص24) من كتاب الاعتقاد لابن أبي يعلى، ونسبة المحقق القولَ إلى الخطابي فيه نظر، فإن الخطابي من أصحاب القول الثالث كما سيأتي بيانه.

([40]) فتح الباري، لابن رجب: (119/1)

(41) عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (632/4) لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم، وأسنده ابن جرير في تفسيره: (376/7) عن قتادة في قوله تعالى: {درجات منه ومغفرة ورحمة} النساء: ٩٦: كان يقال: الإسلام درجة ... فذكر نحوه.

([42]) المصدر السابق: (117/1)

(43) أخرجه البخاري: (ح50)، ومسلم: (ح1)، واللفظ لمسلم وهو أتم

(44) أخرجه البخاري: (ح27)، ومسلم: (ح237)

([45]) هكذا في المطبوع، ولعل الصواب: غير مفردين.

([46]) جامع العلوم والحكم: (ص 28).

([47]) المصدر السابق: (ص29)

([48]) الإيمان الأوسط: (ص482-483)

([49]) تفسير ابن جرير: (596/19)

([50]) تفسير ابن كثير: (518/3)

([51]) تفسير ابن جرير: (496/19)

([52]) انظر الإيمان الأوسط: (ص304-306)

([53]) وهي قوله: {إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون} الحجرات: ١٥

([54]) انظر الإيمان الأوسط: (ص311-313)

([55]) جامع العلوم والحكم: (ص 28)
([56]) شرح الطحاوية: (ص348)
([57]) التمهيد، ضمن موسوعة شروح الموطأ: (65/22)
([58]) المصدر السابق: (66/22)
([59]) فتح الباري: (115/1)

-الاعتقاد لابن أبي يعلى، ت: محمد بن عبد الرحمن الخميس، دار أطلس الخضراء، ط1423/1هـ

-الإيمان الأوسط، لابن تيمية، ت: علي الزهراني، دار ابن الجوزي، ط1424/2هـ

-الإيمان، لابن منده، ت: علي ناصر فقيهي، مؤسسة الرسالة، ط1406/2هـ
-العقائد الإسلامية، لابن باديس، مكتبة الشركة الجزائرية
-الفصل في الملل والأهواء والنحل، لابن حزم، مكتبة الخانجي، القاهرة
-تاج العروس، للزبيدي ت: عبد الستار فراج، مطبعة حكومة الكويت، 1385هـ
-تعظيم قدر الصلاة، للمروزي، ت: عبد الرحمن الفريوائي، مكتبة الدار المدينة المنورة، ط1406/1هـ

-تفسير ابن جرير، ت: عبد الله التركي، دار هجر، الجيزة، ط1422/1هـ.

-تفسير ابن كثير، مؤسسة الريان، بيروت، ط1420/5هـ

-تفسير البغوي، ت: محمد النمر، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط1417/4هـ
-تفسير القرطبي، ت: عبد الله التركي، مؤسسة الرسالة
-جامع العلوم والحكم لابن رجب، دار المعرفة، بيروت. ط1408/1هـ
-شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز، ت: جماعة من العلماء، الألباني، المكتب الإسلامي ط1408/9هـ

-صحيح البخاري، دار السلام، الرياض، ط1417/1هـ

-صحيح مسلم بشرح النووي، ت: خليل شيحا، دار المعرفة بيروت، ط1417/3هـ

-فتح الباري، لابن رجب: ت: طارق عوض الله، دار ابن الجوزي، ط1422/2هـ
-لسان العرب لابن منظور، مرتب على حروف المعجم، دار المعارف
-مجموع الفتاوى لابن تيمية، جمع عبد الرحمن بن قاسم
–موسوعة شروح الموطأ، ت: عبد الله التركي، مركز هجر للبحوث والدراسات، ط1426/1هـ.